

النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم

(16) ولعل نصوص الفكرة الشرعية لولاية الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة يعتبر من اعظم الادلة على ضرورة اقامة الدولة الاسلامية وادارة شؤون الافراد على ضوء النظرية الفقهية . فثبتت عن ولاية الفقيه الشرعية للمجتهد : الافتاء ، والقضاء ، والجهاد ، والتصرف في اموال الناس وأنفسهم ، وكل فعل لابد من ايقاعه للدلالة للبية والشرعية كعزل الاوصياء والتصرف في الاوقاف العامة ونحوها ، وهو يعكس بشكل صريح اساس الحكومة في النظام الاجتماعي. ولاشك ان وجود الدولة يعتبر عنصراً أساسياً في تحقيق العدالة الاجتماعية التي نادى بها الاسلام ؛ فهي التي تشرف على توزيع الخيرات ، وهي التي تخطط لمستقبل البلاد السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وهي التي تقيم علاقاتها مع الدول الاخرى حتى يتحقق العدل الاجتماعي في جميع اقطار الارض. وبطبيعة الحال ، فان العقد الاجتماعي بين الفرد والدولة الذي جاء به (توماس هوبس) وطوره (جان - جاك روسو) يرفضه الاسلام باعتبار ان امثال المكلف لطاعة الرسل (ع) وللانظمة الاجتماعية التي يقيمونها لا يمكن وصفه بالعقدية لانتفاء صفة العقد عنه . ويرفض الاسلام - ايضاً - فلسفة (الدولة) في النظريتين (التوفيقية) و(الصراع الاجتماعي) ، باعتبار ان العدالة الاجتماعية - حسب النظرية الاسلامية - يجب ان تكون الاصل في انشاء تلك الدولة وليس الصراع الاجتماعي المزعوم. وعلى صعيد النظام القضائي ، فان القضاء في النظرية القرآنية هو ميزان الحق ، ووسيلة رادعة وفعالة من وسائل حفظ النظام الاجتماعي ؛ لان منصة القضاء لاتمنح الا للعارف باحكام الله ، المجتهد العادل الامين الثقة الذي يستطيع استرجاع الحق المغصوب من الظالم ، او انزال القصاص العادل بالجاني ، او اجبار المعتدي على تعويض الضحية مالياً . ولاشك ان الاسلام يرفض افكار (اميلي ديركهايم) الزاعمة بان الجريمة ضرورية لتماسك المجتمعات الانسانية بدعوى انها تعرف حدود السلوك المقبول ، لان الشريعة هي التي حددت ابعاد السلوك المقبول ولم تتركه لتصورات العرف الاجتماعي . ويرفض - ايضاً - حكم هيئة المحلفين باعتبار ان الحاكم الشرعي يجب ان يكون مجتهداً ، والا فما قيمة الجاهل باحكام القضاء حتى لو اقسم اليمين المغلطة على كونه عادلاً ، وأصبح عضواً في هيئة المحلفين. ونستنبط - عبر دراسة الاطار الشامل للمؤسسات الاجتماعية على ضوء هدى القرآن المجيد - ان لهذا الكتاب السماوي العظيم دوراً عظيماً في انشاء نظرية اجتماعية الهية هي النظرية الاجتماعية القرآنية التي تتفوق - اليوم وفي كل وقت - على كل النظريات الاجتماعية على وجه الارض.